قراءات ومراجعات

مراجعة لكتاب

إصلاح الجامعات: من أسلمة المعرفة إلى تكاملها*

ضياء الدين سَردار**، جِرِمي هِينـزل تومَاس***

ترجمة: سميرة الخوالدة****

الملخّص

ينطلق البحث من التحديات المعاصرة التي تواجه التعليم في العالمين الغربي والإسلامي. وتتمثل مشكلة البحث في الأزمة المعرفية والأخلاقية الناجمة عن فصل المناهج بين العلم والقيم والعقل والوحي، وتأثير العولمة والهيمنة الاستعمارية في تبني نماذج غربية لا تناسب القيم والسياسات المحلية. ويخلص البحث إلى ضرورة الانتقال من "أسلمة المعرفة" إلى "تكامل المعرفة"، واقتراح

---

* سردار، ضياء الدين، وتوماس، جيريمي هينـزل (2026). إصلاح الجامعات: من أسلمة المعرفة إلى تكاملها، ترجمة: سميرة الخوالدة، هرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

** ضياء الدين سردار، كاتب صحفي وناقد ثقافي وعالم بريطاني من أصل باكستاني، متخصص في الفكر الإسلامي والدراسات المستقبلية.

*** جيريمي هينـزل توماس، أكاديمي بريطاني عمل في عدة جامعات بريطانية وباحث وكاتب في الشؤون الإسلامية واللغويات التطبيقية.

**** سميرة الخوالدة، دكتوراة في الدراسات الإسلامية، جامعة مانشستر-بريطانيا، 1978، دكتوراة في الأدب الإنجليزي، الجامعة الأردنية، 2003، عملت في عدة جامعات في الأردن. البريد الإلكتروني: s.khawaldeh@gmail.com، https://orcid.org/0000-0001-9199-6330

تم تسلُّم المراجعة بتاريخ 6/ 6/ 2026م، وقُبِلت للنشر بتاريخ 17/ 9/ 2026م.

للاقتباس: الخوالدة، سميرة (2026). "مراجعة لكتاب: إصلاح الجامعات من أسلمة المعرفة إلى تكاملها. تأليف: ضياء الدين سَردار وجِرِمي هِينـزل تومَاس"، **مجلة الفكر الإسلامي المعاصر (إسلامية المعرفة سابقاً)**، مجلد 32، العدد 112، 185-200. https://doi.org/10.35632/citj.v32i112.18786

كافة الحقوق محفوظة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي © 2026

نموذج "الجامعة المتكاملة" التي تعزز البصيرة والعدالة والجانب الروحي. كما يدعو إلى بناء شبكة معرفية رقمية عابرة للحدود لتأسيس خطاب جديد يستعيد الوظيفة الحضارية للجامعة ويوازن بين العلم والحرية والمسؤولية.

الكلمات المفتاحية: أسلمة المعرفة، التكامل المعرفي، التعليم العالي، إسماعيل الفاروقي، إصلاح التعليم.

كتاب "إصلاح الجامعات من أسلمة المعرفة إلى تكاملها" (2026) هو ترجمة للأصل الذي صدر بالإنجليزية عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي تحت عنوان Rethinking Reform in Higher Education: From Islamization to Integration of Knowledge (2017)، من تأليف ضياء الدين سردار وجيريمي هينـزل-توماس.

مقدمة

يبحث الكتاب في واقع الجامعات والتعليم العالي عامة، وفي العالم الإسلامي خاصة من وجهة نظر نقدية إصلاحية، ويشكل جزءاً افتتاحياً من مشروع رائد يقوم عليه المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالتعاون مع مؤسسات علمية وفكرية في عدة أقطار، بهدف تشخيص الخلل الجسيم في التعليم العالي في المجتمعات المسلمة. ومن ثم، العمل على إصلاحها. كما أنه يعدّ في الحقيقة تطويراً للأطروحة التأسيسية في هذا المجال التي وضعها إسماعيل الفاروقي تحت عنوان "أسلمة المعرفة: المبادئ العامة وخطة العمل" (1984).

يشير الباحثان إلى أن هناك أزمة في التعليم العالي ليس في العالم الإسلامي وحسب، بل في العالم الغربي أيضاً، يعمل المفكرون والباحثون على تشخيصها وإيجاد الحلول والنماذج الفكرية الجديدة التي يؤمل أن تساهم في إحداث التغيير المرجوّ، وكذلك رسم الخطط التي تترجم الأفكار إلى مشاريع واقعية.

يقع الكتاب في أربعة فصول ومقدمة قصيرة. تحكي المقدمة كيف تطور الكتاب من مؤتمرات عقدها المعهد في أكثر من دولة على مدار بضع سنوات، ناقش فيها عدد من الأكاديميين والباحثين شأن الجامعات في المجتمعات المسلمة. وكانت أهم النتائج التي توصل إليها الباحثون هي أن المشكلة الأساسية في التعليم العالي حالياً معرفية وأخلاقية: معرفية في نظرتها التجزيئية الفصامية

للكون وللإنسان والمعرفة؛ وأخلاقية كونها تُعنى بالجانب المادي دون الروحي والقيمي. تلك هي الثنائية المزمنة في العصر الحاضر بين العلمانية والثقافة الغربية (المهيمنة) من جهة، وبين الثقافة العربية الإسلامية (العاجزة) من جهة أخرى.

في الفصل الأول من الكتاب يستكشف ضياء الدين سردار مشهد التعليم العالي في الغرب في دراسة مسحية لأهم البحوث التي أجريت في الموضوع، والتي تكاد تجمع على أن التعليم العالي في أزمة حقيقية تتشكل من عدة أزمات متشابكة: أزمات في المناهج والأهداف والإدارة والضبط والجودة وغيرها. وكيف أن العولمة والتطور التقني المتسارع قد أثرا سلباً على جودة التعليم. كما يذكر بعض مساعي الإصلاح في الغرب ومحاولات إيجاد نماذج فكرية جديدة؛ مع التطرق إلى التحديات المستجدة مثل الاستدامة واستشراف المستقبل ونظريّة التعقيد وأسئلة القيم؛ وجميعها مما يحدث في عالم الجامعات الغربية. ويؤخذ على هذا الفصل أن المسح لم يشمل دراسات تتناول التعليم العالي في المجتمعات العربية والمسلمة، بل اكتفى ببضع ملاحظات نقدية سريعة.

في الفصل الثاني يجمع سردار المداولات التي تمت في المؤتمرات المذكورة آنفاً، والتي ركّزت على مفهومي "أسلمة المعرفة" و"تكاملها" وينسقها، ملقياً الضوء على مفاهيم أخرى منها مكانة التراث في مشروع الإصلاح قيد البحث، ومقدّماً لمحة تاريخية سريعة عن محاولات الإصلاح السابقة، وتغلغل الروح الاستعمارية في عدة مسارب من التعليم العالي، بالإضافة إلى خلاصة لأهم التوصيات.

وفي الفصل الثالث يبين جيريمي هينـزل-توماس ما هو "التكامل الذي نريد"، وهو عنوان الفصل، وكيف يمكن تحقيقه. توماس هو أيضاً مؤلف الفصل الرابع وفيه يطرح فكرة "لغة التكامل" بوصفه أحد النماذج الفكرية الجديدة، مقدماً مجموعة من المصطلحات بوصفها نواة لنموذج "مسرد" اللغة المقترحة. ومن التصفّح الأوّلي للكتاب يدرك القارئ الكم الهائل من المصادر التي رجع إليها المؤلفان؛ ممّا أضفى ثراء معرفياً مميزاً على تناول الموضوع، خاصة مع تحليل النظريات والمفاهيم

المستجدة ومقارنتها، لكن ما قد يؤخذ على هذا الزخم والتنوع هو الغياب شبه التام للمراجع العربية والإسلامية؛ مع إقرار القارئ طبعاً بالفارق الكبير في حجم النتاج بين الجهتين.

بين الأسلمة والتكامل

يشير عنوان الكتاب إلى "إصلاح الجامعات من الأسلمة إلى التكامل" في عبارة قد تحمل أكثر من معنى: فقد تصف حركة زمنية متواصلة: بدءاً بالأسلمة والتوصل من خلال التطور الحثيث إلى التكامل. وقد تعني نقلة مكانيّة بمعنى مغادرة مفهوم الأسلمة والانتقال إلى مفهوم التكامل، وقد توحي كذلك بأن الأمر لا يعدو كونه تغييراً في المصطلح دون مسّ بالمفهوم. ولعل الكتاب تضمنها جميعاً؛ نظراً لاحتوائه مساهمات فكرية لعدد من الباحثين. فهناك المؤلفان سردار وتوماس، وهناك أصحاب الأوراق البحثية المدمجة في النص ومنهم؛ عبد القادر طيوب وأنور إبراهيم وعبد الوهاب الأفندي وعبد العزيز ساجدينا.

يذكر سردار أن أسلمة المعرفة هي الفكرة التي جاء بها إسماعيل الفاروقي، والتي عبّر بها عن مسألتين؛ الأولى: القلق من الوضع السيء للتعليم في المجتمعات المسلمة المعاصرة الذي تسبب في انحطاطها، والثانية: التحذير من "المركزية الغربية في العلوم الاجتماعية" التي دمرت القيم الأخلاقية. ورغم أن الفكرة كانت نتاج وقتها وسياقها، إلا أن تركيزها على مبدأ التوحيد بتلك الصورة الشمولية يجعل منها الإطار الدائم الأمثل لمشروع إصلاح التعليم. ويضيف سردار أن تسارع المشروع الذي تُصوّره "خطة العمل" المتضمَّنة في الأطروحة نقلَ الفكرة من "أسلمة المعرفة" إلى خطاب جديد حول "تكامل المعرفة"؛ فالأمر إذاً تطور طبيعي سايَر أو أمْلته الظروف المتغيرة. أما توماس فيرى أن مشروع إسلامية المعرفة، مع أنه يتضمن مفهوم التكامل، إلا أنه يكرّس الثنائية السلبية بين الديني والدنيوي. ومن هنا، كانت النقلة إلى التكامل "تحولاً جوهرياً"، سواء وُصفت بأنها "إصلاح" أو "إعادة اختراع" أو أيّ مصطلح آخر. يُستشف من هذا استشعاره للإشكالية في المصطلح؛ إذ إن تبدّل السياق الذي نشأ فيه مصطلح الأسلمة ألحق به بعض السلبيات، فقد أخرجته

الدعاية الغربية المغرضة من سياق المعرفة إلى سياق أوسع يثير التوجس لدى الغربيين. وهو محق في ذلك؛ إذ لو رجعنا إلى الموسوعة الأكثر شعبية، ويكيبيديا، فأول تعريف للأسلمة هو أنها "مصطلح سياسي يستخدمه منتقدو من ينادي بتحكيم الشريعة الإسلامية."

ونضيف هنا، أن تحليل المصطلحين في الكتاب اعتمد على الإنجليزية: Islamization (أسلمة) و Integration (تكامل)، وكان من المفيد لو أن تحليلاً موازياً قُدم للمصطلحين بالعربية. فهناك فرق لغوي له دلالته بين المصطلحين في العربية: "فالأسلمة" صيغة من "أسلم" في تصريف الأفعال العربية تفيد التحويل وإضفاء صبغة ما، وهو فعل متعدّ. ومثله يقال "أمْركة" و"روْمنة". بينما يأتي مصطلح "تكامل" من فعل "تكامَل" على وزن "تفاعَل" ويفيد مشاركة طرفين أو أكثر وبشكل متساوٍ دون أفضلية في التحرّك من التجزئة إلى التوحّد والاكتمال؛ وهو فعل لازم لا يُلمَس فيه هرمية الفاعل والمفعول، كما أن الثنائية غير حتميّة في مفهوم التكامل.

جاء في "خطة العمل" للفاروقي أن مشروع الأسلمة يتطلب إتقان العلوم الحديثة، ولا سيما العلوم الاجتماعية، وفهم التراث الإسلامي، ثم بدمج الاثنين معاً بعد غربلة هذه العلوم وتمحيصها وإعادة شرحها من خلال رؤية الإسلام الكونية وقيمه؛ وبذا يقوم نظام موحد يتخلص من الثنائية. ويرى سردار أن "أسلمة" المعرفة نقيض Anti-thesis "للتغريب" و"التحديث" وعمليّة تعكس مقاصد الوحي وقيمه وغايته الكبرى (سردار،2017، 116). وهنا لا بد من الإشارة إلى تفسير الفاروقي لمفهوم الأسلمة وأنه "إعادة تعريف المعلومات وتنسيقها وإعادة التفكير في المقدمات والنتائج المتحصلة منها، وأن يُقوّم من جديد ما انتُهي إليه من استنتاجات وأن يعاد تحديد الأهداف" (الفاروقي، 1984، 50)؛ إذا هي عملية إضفاء "الصبغة" الإسلامية على المادة العلمية التي هي في أحسن الأحوال مجردة ممّا يكمن في التعريفات والتفسيرات من الإيديولوجيا والتصورات. فالأسلمة هي إحلال التصورات والتفسيرات الإسلامية محل التصورات والتفسيرات الغربية؛ فهي نقيض لصبغة "التغريب". وكتب العلوم الغربية التي نستوردها لتدرّس في جامعاتنا ألفها غربيون أصلاً

للغربيين، فمن الطبيعي أن تسودها صبغتهم الثقافية؛ ومن حق كل ثقافة تريد المحافظة على إرثها وقيمها اتخاذ الإجراء اللازم.

أما عبد الوهاب الأفندي فيرى أن هناك مشكلة دائرية تتعلق بإنشاء المؤسسات التي تنتج المعرفة والمعرفة اللازمة لإنشاء مثل هذه المؤسسات، لكن إذا رجعنا إلى "خطة العمل" نجد إشارة إلى دورة الحضارة، وكيف أن المسلمين الأوائل طوروا العلوم الأجنبية وجعلوها جزءاً لا يتجزأ من بناء المعرفة الإسلامية. وبدوره، فعل الغرب مثل ذلك، فأخذ التراث العلمي للمسلمين وكيّفه مع نظرته إلى الحياة (سردار،2017، 46). قصتان من النجاح من الضروري أن يستثمرهما الباحثون في تكامل المعرفة. وفي كتاب "إصلاح الجامعات" نفسه إشارة مماثلة وإن كانت مقتضبة إلى المسلمين الأوائل الذين بذلوا جهدهم في السعي للتوفيق بين أمور ثلاثة: رسالة الإسلام، وثقافاتهم المحلية، والحضارات السابقة (سردار،2017، 167). هذه العناصر الثلاثة ثابتة في المعادلة، وإن كانت الحضارات التي تواجه المسلمين اليوم ليست "سابقة" وميزان القوى المادية ليس لصالحهم.

بين الواقع والـمُراد

الحاجة إلى الإصلاح تعني أن قصوراً أو فساداً أو انحرافاً قد طرأ على الشيء، فهناك صورة المثال وهناك النسخ الواقعية المتفاوتة في درجات القصور والفساد. فلنتلمس في الكتاب الصورة المنشودة للجامعات، والنسخ المعوجّة كما استخلصها المؤلفان من مصادر (غربية) عدة.

الجامعة الفاضلة/ المتكاملة لها عدة تعريفات وفقاً لفلسفات التعليم الغربية المختلفة؛ نستخلص بعضها من المداولات الواردة في الكتاب. تقوم الجامعة مثلاً بدور خاص منوط بها، مثل بناء المواطنة، وتحمّل المسؤولية تجاه قضية العدالة. وهناك دورها التقليدي في تحصيل العلم وتوصيله وحفظه، كما تلبي في تعريف آخر الحاجة إلى التنمية البشرية وإلى تطوير مهارات الابتكار والتكيف وتذوق الثقافة وتشجيع الإحسان إلى الآخرين، ثم هناك الاهتمام بالقيم والبعد الأخلاقي للتعليم،

وكذلك النظر إلى المدى البعيد، كما رأى بعضهم أنها مكان لإعداد الإنسان القادر المثقّف وليست مكاناً للتعليم المهني.

أما في منظور توماس وفريق الباحثين فقد أطلق على النموذج المطلوب صفة "الجامعة المتكاملة" وتوسعوا في وظيفتها، لتصبح بالإضافة إلى تهيئة الفرد مهنياً، تنمية الملكات الآتية:

البصيرة الفكرية، والخيال، والفضول والمخاطرة والمسؤولية الاجتماعية والنضال من أجل العدالة، وكذلك تحرير العقل والروح، والبحث عن هدف ومعنى أعمق، ورؤية لما يعنيه أن تكون إنساناً حقاً. ودعونا نضيف: الإبداع والتفكير المستقل، وبالطبع الانفتاح والتلقّي بقلب وعقل مفتوحين يمكنهما الاستماع، وكذلك التحدث والتواصل مع اهتمام حقيقي ومجاملة عميقة للآخر، ليس فقط في الحوار والمناقشة وإنما أيضاً من خلال الحبّ القادر على التغيير. (سردار،2017، 183)

هذا ما يصفه توماس "بالتعليم المتكامل" حينما يدعو إلى التعامل مع التعليم من وجهة نظر كونية؛ مما يتطلب مجموع القوى البشرية: "السمع والبصر والقلب." ولعل هذا ما قصده حين قال: "إننا نحتاج إلى نموذج مؤصَّل في رؤية القرآن للكون" (سردار،2017، 12).

أما واقع الحال فهناك خلل في جامعات الغرب لخصه سكولاسن، رئيس جامعة آيسلاندا السابق، بقوله: "نحن الذين لا نفقه الغاية من إقامة الجامعات"؛ إذ يبدو أن التعريفات والغايات المشار إليها قد تبدلت بفعل سياسات التدويل والعولمة وظهور صندوق النقد الدولي على الساحة كمصلح للتعليم العالي؛ فقد جعلت من الليبرالية الجديدة إطاراً تسويقياً، وأضعفت سلطة الدولة على التعليم العالي. يستعرض الكتاب بعض مساعي إصلاح التعليم العالي في الغرب نذكر منها مشروع صندوق النقد الدولي الذي ربط عملية الإصلاح بإجراءات اقتصادية مثل خصخصة الجامعات و"شراء فروع" لها من قبل دول الجنوب، ومشاريع الدمج والتعاون الدولي؛ لكنه حافظ على مستوى من المنطقية حين اقترح أن يتم التوازن في التعليم العالي بين مفاهيم السوق الحرة وضمان

الجودة. وهكذا صارت الجامعات شركات يملكها المستثمرون الباحثون عن الربح، تتنافس في إرضاء الجمهور وتقديم الخدمات للعملاء والمستهلكين.

يرى آخرون أن التعليم العالي في الغرب ومجموعة المعارف الأساسية (ما يُدرّس وكيف يُدرّس) عالقة في الماضي البعيد، وهذا التعليم العالي يراعي رغبات الجيل الحاضر وأولوياته على حساب أجيال المستقبل واحتياجاتها، ويركّز على وضع معايير تفتقر إلى الروح؛ ولا تُعِدّ الطالب لعالم يسوده انعدام الأمن واللايَقين. أصبحت الدراسة الجامعية عبارة عن "إنهاء" المواد وليس "تعلمها"، وتغطية عدد من الساعات وليس اكتساب المعرفة، خاصة مع تدريس المزيد من المواد الدراسية عن بعد (سردار،2017، 20). وانتشر انتفاء العدالة في التعيينات ونجاح الطلبة وغيرها.

وفي حركة مضادة في الاتجاه نجد "الورقة البيضاء البديلة" في بريطانيا تدعو الجامعات إلى "الاستقلال الفكري والأخلاقي عن السلطة السياسية والقوى الاقتصادية". وفيها تعريف جيد لعلاقة الجامعة بالحكومات: "التعليم العالي الحكومي ليس تعليماً محكوماً من الحكومة، بل تعليماً مموّلاً من الحكومة؛ يحترم تلك المبادئ والمنافع العامّة التي تتسق مع المجتمع الديمقراطيّ" (سردار،2017، 25).

وفي المجتمعات المسلمة يكتشف المؤلفان أنّ مهمة إصلاح التعليم، هي أعمق بكثير مما تخيّلاه. يذكر سردار أن "تقرير التنمية الإنسانية العربية" (2003) أعلن أن "العجز في المعرفة" في المجتمعات العربية خطير وعميق الجذور، وقد ينطبق الشيء ذاته على المجتمعات المسلمة عامّة. ويلاحظ سردار أن الجامعات في هذه المجتمعات تدرّس العلوم والهندسة والطب في سياق أجنبي؛ يتلقاها الطلبة فيما يوصف "بالعِلموية" Scientism؛ أي الإيمان الأعمى بالمنهج العلمي. فنظام التعليم فيها منقول من الغرب ومفروض عليها بما في ذلك التصورات الاعتقاديّة؛ مما دمّر القيم الأخلاقية في المجتمع المسلم. وكان أن أنتج هذا النظام طلبة ضعفاء في قدراتهم مقارنة مع نظرائهم في المؤسسات الغربية، وكذلك في نموهم الروحي؛ إذ يولي هذا النظام أهمية كبرى للجانب المادي على جميع المستويات.

هذه "الأزمة" -كما يرى المؤلفان- بدأت منذ القرن السابع عشر، وفي اقتباس لهما من كتاب "نشأة الكليّات" لجورج مقدسي، ندرك أنه العصر الذي فقدت فيه المعارف الدنيوية -التي كانت في أيدي المسلمين- قيمتها؛ كما أن تراجع المؤسسات التعليمية الإسلامية الكبرى تسبب في ضياع الموروث الحضاري وانحدار القيم الإسلامية (سردار،2017، 111). هذا الحال هو الذي جعل المسلمين فريسة سهلة للاستعمار؛ أي جهلهم بالدين وبالدنيا؛ هذا الجهل المطبق هو السبب الإجمالي، بينما يرى سردار أن رفض المسلمين لتقبل العلوم الواردة من الغرب، هو الذي تسبب في وقوعهم تحت نير الاستعمار، كما تسبب لسكان أميركا الأصليين بما يقارب الانقراض، لكن مشروع الأسلمة كله بُني على منظور خطورة تقبّل العلوم الواردة كما هي، وأنه شكل آخر من الاستعمار. ويظل السؤال المعضلة دون جواب شاف حتى اليوم، وهو: "إلى أي مدى يمكن استيعاب المعارف الجديدة ضمن ثقافة المجتمع القائمة؟"

أشار كتاب "إصلاح الجامعات" بوضوح إلى الهيمنة الاستعمارية على هيكلية التعليم العالي في المجتمعات المسلمة والتي لم تعترف إلا بالعلوم الغربية، وفرضت نظام تجزئة العلوم الذي قضى على مفهوم "وحدة الإنسان في الجوهر وتعدده في الأدوار." وألغى النموذج الموسوعي للعالم المسلم الذي لم يمنع ابن سينا، على سبيل المثال، من وضع كتابه "القانون" المتخصص في الطب الذي ظل مرجعاً للجامعات الأوروبية حتى نهاية القرن السابع عشر، لكن كتاب "إصلاح الجامعات" لم يورد هذا النموذج الموسوعي بوصفه نموذجاً للتكامل المعرفي رغم الإشارة البسيطة إلى مؤسس الفلسفة الإنجليزية روجر بيكون الذي تتلمذ على مؤلفات ابن سينا وفكره ونقل عنه مبدأ التوازن بين العقل والملاحظة التجريبية والإيمان (سردار،2017، 220). بينما كتب الفاروقي في "خطة العمل": "كان فقهاء العصور الأول موسوعيين بحق، وأساتذة فعلاً في كل التخصصات من الأدب والقانون إلى الفلك والطب" (سردار،2017، 54).

ومع ذلك، نجد الإلحاح الشديد في "إصلاح الجامعات" على برامج تَعدد التخصصات وبرامج عبْر التخصصات وتداخلها، مع تأكيد أن نظام إنتاج المعرفة التقليدي وفق التخصصات العلمية، قد

بدأ بالتغير ويتم استبداله حاليّاً بإنتاج معرفة عن طريق تداخل العلوم والتحامها على مستويات معقدة (سردار،2017، 33). وقد أطلق على هذه العمليّة في سوسيولوجيا العلوم وفلسفتها اسم "علم ما بعد الطبيعي" Postnormal Science و"نمط المعرفة الثاني" Mode 2 Knowledge. ويتم إنتاج المعرفة فيها بوساطة "مجتمع ممتد من الأقران" من الأكاديميين والنقاد والمختصين وغير المختصين، يدخلون في حوار ينتج عنه "دمقرطة الخبرة" ومعرفة موسوعية جمعية. كما تعرّف التخصصات المتداخلة بأنها التخصصات التي يتم فيها دمج المعلومات والبيانات والتقنيات ووجهات النظر والمفاهيم والنظريات من تخصصين أو أكثر، وذلك لتعزيز الفهم الأساسي للمشكلات التي تتجاوز حلولها نطاق التخصص المنفرد.

المشروع الإصلاحي والتراث

"الوضع الكارثي" للتعليم العالي في المجتمعات المسلمة، كما وصفه أنور إبراهيم، هو ما دفع الفاروقي إلى تقديم مشروع إصلاح التعليم العالي، والذي تبعه فيه كثير من الباحثين بمن فيهم مؤلفو الكتاب. وقد أيقن أن تخلف المجتمعات المسلمة ما هو إلا نتيجة للانحطاط الفكري المنهج لأمة مستعمَرة. وعزا فشل نظام التعليم في تحريك نهضة فكرية للأمة إلى خلوه من التصورات المنهجية للإسلام التي ذكرها في "خطة العمل" وهي "وحدة الحقيقة، ووحدة المعرفة، ووحدة الإنسانية، ووحدة الحياة والطبيعة الغائية للخلق، وتسخير الكون للإنسان" (سردار،2017، 50). وقد استخدم سردار عبارة "غياب المعنى" للغرض نفسه، فبدون المعنى في أنظمة التعليم الدينية والدنيوية يحصل الفشل؛ إذ لا توجد غاية واضحة في حياة الفرد تمنحه الدافعية. و"المعنى" هنا أيضاً يوافق مقصد جمال الدين الأفغاني في مقولته بأن غياب "الفلسفة" هو سبب الفشل، كما يصرح سردار. يضاف إلى ذلك تعبير آخر للمفهوم ذاته هو "الرؤية الإسلامية أو القرآنية للكون" الذي تردد في الكتاب.

والمقترح الذي يقدمه لنا الكتاب لحل الأزمة في التعليم العالي، هو إيجاد نمط جديد من الوعي، نمط تكاملي وشامل مستوحىً من القرآن الكريم ورسالته، وتكون نقطة بدايته كما يصر سردار هي

المبادئ الأولية الواردة في "خطة العمل"؛ ففيها اهتمام بالمعنى و"توفر بمجموعها إطاراً ممتازاً لطلب العلم ولإصلاح التعليم الإسلامي معاً." وهناك تركيز في "المبادئ الأولية" على وحدة المعرفة والتكامل بين العقل والوحي، ووحدة الإنسانية مع التعددية (سردار،2017، 115).

إنها مبادئ عالمية في جوهرها تتوجه إلى الإنسانية، وليس إلى المجتمعات الإسلامية وحسب، فيها تقبل للآخر وشعارها ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات: 13]. ويشير الباحث إلى سياسة الجامعات الأولى في العالم الإسلامي في القرنين العاشر والحادي عشر التي كان توجهها نحو المعرفة العالمية و"صياغة نظرة للعالم بمفهوم تعددي للمعرفة ولنظرية المعرفة، ولكن ضمن الإطار العام للوحي" (سردار،2017، 178). هذه نقطة حاسمة كانت جديرة بالتوقف عندها في الكتاب، لدراستها والتعلم منها كيف تناول العلماء الفلاسفة الأوائل علوم وفلسفة الشعوب الأخرى. ومع اعتراف المؤلفين بأن التراث الإسلامي أبدع في العلم التطبيقي، وفي إنتاج العلوم الاجتماعية والإنسانية، وأن المسلمين أخذوا كل ما أمكنهم وناسبهم من الحضارات الأخرى، إلا أن هذا لا يعني -كما يستدرك أنور إبراهيم- "أن نعود إلى الأطر الإسلامية القديمة، رغم علمنا بأن بيت الحكمة في العصر الذهبي للإسلام لم يخرّج الفلاسفة فحسب، بل علماء مشهورين في العلوم الطبيعية كذلك" (سردار،2017، 132). لكن، يستدرك عليه وعلى مجموعة الباحثين في الكتاب، أنهم لم ينقدوا "هذه الأطر القديمة"، وحتى لم يعرّفوها. طبعاً يتفقون جميعهم مع توينبي ومالك بن نبي ومؤلفي هذا الكتاب على أن الاكتفاء بالتغني بإنجازات "العصر الذهبي للحضارة الإسلامية" مؤشر على الإفلاس في إنتاج أفكار جديدة. في حين أنه لا ينبغي لنا "أن نحصر أنفسنا في الفكر التراثي" كما يحذّر إبراهيم، إلا أنه لا يحق لنا أن نتجاهله أيضاً أو نكتفي بذكره بوصفه تميمة لا تُفكّ طلاسمها أو تحية مقتضبة لعالَم لا نملك مفاتحه.

فرغم الدروس العديدة المستفادة من تجارب الغرب المذكورة في الكتاب، لا نجد درساً واحداً جدياً وجديداً ذا علاقة حقيقية بواقعنا مستمداً من التراث الإسلامي. فمثلاً، لماذا لا نفهم كيف نجح الكندي في نقل فلسفة الإغريق رغم معارضة المتشددين في مجتمع القرن التاسع؟ ولماذا لم يلفت نظرنا القول الذي يؤْثر عنه بوصفه دليلاً على منهجه: "من الأجدر بنا أن نبقى أوفياء للمبدأ الذي

اتبعناه في جميع أعمالنا؛ أولاً بتسجيل كامل الاقتباسات الصادرة عن الأقدمين حول موضوعٍ معين، وثانياً باستكمال ما لم يتمّمه الأقدمون، وذلك كله بما يتفق مع استخدامات لغتنا العربية وعادات وتقاليد عصرنا وما لدينا من مقدرة." أليس هذا هو التكامل المنشود؟ ولعل فيه أيضاً جواب لسؤال "إلى أي مدى يمكن استيعاب المعارف الجديدة ضمن ثقافة المجتمع ا لقائمة؟"

إن اللغة العربية القديمة والمفاهيم المعقدة التي عالجها فلاسفة المسلمين الذين هم في الوقت ذاته رواد علوم الطبيعة، لا يجوز أن تقف حاجزاً بين مفكرين من المتصدّين لمشروع إصلاح التعليم العالي والنماذج الفكرية التاريخية الجديرة بالنظر والاتباع. وحبذا لو أَتْبع توماس قوله: "يجب أن ندْرس كيف يمكن تجديد القيم والمبادئ التي أدّت إلى قيام مثل تلك الحضارة، وكيف يمكن إعادة تفسيرها وتطبيقها في العالم المعاصر" (سردار،2017، 181) باقتراح عملي. وقد ورد ذكر عابر لدراسة أعدّها عبد القادر طيوب عن جلال الدين الرومي بوصفه نموذجاً من التراث شديد الصلة بالمعاصرة في مفاهيم عدة أهمها "الهويّة" و"الأنا" و"الآخر"، وحبذا لو أُفرد لها مساحة أوسع في الكتاب. ولعل المستقبل يشهد المزيد من مثل هذا، فنحن نجد أن تغييراً قد طرأ في ترتيب المبادئ عند سردار حين كتب: "إن اتجاه مسيرتنا المستقبلي إذاً، يتطلب اعتماد المبدأ الأول في "خطة العمل" في تحليلنا، وهو الاستفادة المبدعة من تاريخنا الفكري" (سردار،2017، 119).

ومن جهة أخرى حرص سردار على أن يشيد بمشروع قيّم هو "تراث الغرب" لهارولد بلوم بوصفه نموذجاً معاصراً للتعامل مع التراث، وكيف حمل شخص واحد على عاتقه حفظ هذا التراث من الإهمال وسوء التفسير، وكيف استغل سلطته بوصفه ناقداً كبيراً للتأثير على الأوساط الأكاديمية في تصحيح المسار في تدريس الأدب الغربي واختيار الأعمال وشرحها (158). ويبدو أن الاهتمام قد امتد إلى تراثنا العربي من جديد. فهناك حركة إحياء في الغرب لفلسفة العلوم وتاريخها عند المسلمين. يعقّب سردار على الخبر بقوله: يمكننا الاستفادة منها و"من المؤسف أنها ليست في العالم الإسلامي ... دعونا نركب هذه الموجة الصغيرة؛ لننتجْ مناهج مبتكرة لتدريس العلوم تراعي السياق الاجتماعي والثقافي، وتدمج الاكتشافات الجديدة في تاريخ العلوم وفلسفتها. إنّ مشروعاً كهذا،

يشجّع تعليم العلوم في جميع أنحاء العالم الإسلامي بشكل أكثر توازناً، سيكون له ميزة هائلة" (75). حبذا لو أُفردت عشر صفحات من الكتاب، لبيان الأهداف والمقاصد والمنهجية المتبعة في دراسة الفكر المسلم في تلك الأقسام.

شبكة "تكامل المعرفة"

إن تحرير الجامعات من الاستعمار – كما يؤكد لنا الباحثان – لا يعني رفض المعارف الحديثة، بل تجريدها من الفوقية ومساواتها بالأنماط المعرفية الأخرى. ولذا؛ لزم إيجاد خطاب جديد يتكون من نظام معرفي ونماذج فكرية جديدة، ومفاهيم ومصطلحات وقوانين، يتم من خلالها تفكيك الهيمنة الغربية؛ بالإضافة إلى مراجعة التراث الفلسفي للمسلمين، وتطوير أعراف فلسفية إسلامية معاصرة. وقد توصّل المجتمعون إلى فكرة مشروع مؤسس على التقنيات الرقمية هو عبارة عن شبكة معرفية (واقتُرِح أن يكون المعهد العالمي للفكر الإسلامي مركزاً لها) تتعاون معه فيها عدة جامعات من الشرق والغرب، لبناء نموذج معرفي جديد في البحث والنقد. تتشكل هذه الشبكة من مجتمع الخطاب، ومن خلال تفاعل أعضائها ستنتج لديهم معرفة جديدة، تعزز الخطاب وتغذيه. وتضم هذه الشبكة العالمية العلماء والمفكرين وطلاب الدراسات العليا والنشطاء، ممن يؤمنون بضرورة خطاب "تكامل المعرفة"، وقد لا يكونون جميعاً من المسلمين، فهناك حاجة إلى مدخلات من الثقافات الأخرى.

وقد تم رسم خطة المشروع بشيء من التفصيل بما في ذلك افتتاحه ببحث موضوع القيم، في محاولة لاستعادة القدرة على البحث المتعمق في القضايا الأخلاقية والفلسفية؛ فما هي القيم التي نريد وهل هي من الوحي؟ "مما يعني إعادة فتح الأسئلة التي أثيرت سابقاً في علم الكلام، بوصفها ردّ فعل على تحدي العقلانية في تاريخ الفكر الإسلامي" (سردار،2017، 153)، وهذا خطوة تتطلب الحذر الشديد لتجنب أخطاء الماضي. ومن المحيّر حين يُضرب سؤال عن "الخير" بوصفه مثالاً على طبيعة فتح الأسئلة أن تتلوه عبارة: "لا توجد إجابة ثابتة على سؤال ما هو الخير" (سردار،2017،

153). فكأن في هذا رجوعاً إلى نقطة الصفر، وبحثاً خارج دائرة "المبادئ الأولية" التي عدّها المشروع نقطة البداية، واستعداداً للتيه في "النسبية" الحداثية، فالذي لا يدرِك وبقناعة تامة مدلول قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [البقرة: 54]،

﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾ [آل عمران: 104]،

﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: 7-8]،

لا يكون "متمكناً" من التراث الإسلامي وقيمه. ووفقاً لخطة مشروع الشبكة المعرفية، لا بدّ أن يكون الأعضاء مطّلعين على الأعمال الأساسية في التراث الإسلامي (سردار،2017، 158). ثم، هناك عامل الوقت؛ إذ تتوقف نهضة الأمة على إصلاح التعليم والجامعات خاصة، ومن حسن الإدارة ترتيب الأولويات وحسم الجدال.

خاتمة

يتضح مما سبق أن المعضلة الأساسية في نظر المؤلفين هي في الثنائية الثقافية: الإسلامية والغربية أو الإسلامية والعلمانية التي يقدم الكتاب مفهوم التكامل المعرفي بوصفه حلاً أنسب لمواجهتها. وقد تم طرح المفهوم مع مشروع عملي هو شبكة معرفية تعتمد التعددية في التخصصات والثقافات، وتمتد جغرافياً عبر التقنيات الرقمية. وبهذا، جمع الكتاب الذي جاء غنيّاً جداً بأحدث النظريات بين المفاهيم الفلسفية التي يدور حولها الحوار في عالم التعليم العالي في الغرب خاصة، وبين الحلول العملية التطبيقية.

ثم، لا بدّ من التنويه إلى أن مشروع إصلاح الجامعات في المجتمعات المسلمة، يتطلب اهتماماً أكبر بتجارب هذه الجامعات على أرض الواقع؛ فهناك ولا شك قصص نجاح رغم ندرتها، لكن الأهم هو إلقاء الضوء على الأسباب المباشرة للفشل والعجز السائدين، والتي تختلف حتماً عما يحدث في الغرب. كذلك من الضروري أن تخصص دراسة أخرى لتاريخ الجامعات في العالم الإسلامي

ليس للتمجيد؛ وإنما للتعلم. فهي تمثل نموذجاً للتكامل بين علوم الدين والدنيا، والتناول السليم للعلوم القادمة من خلفيات أجنبية، وقد نَبَّه الباحثون إلى هذه الحاجة.

كما أكد الباحثون أهمية الدراسات المستقبلية التي هي شبه معدومة في الجامعات العربية مع وجود بعض الأقسام التي تُعنى بها في دول مثل إيران وتركيا. ولعل المعهد العالمي للفكر الإسلامي وفي إطار تبنيه لمشروع الإصلاح، يبادر مع بعض الجامعات إلى سدّ هذه الثغرة. كما أن الشبكة المعرفية المطروحة نظرياً بشكلها الحالي، قد توفّر العناصر الضرورية لمثل هذه البحوث.

ففكرة الشبكة المعرفية جاءت رديفاً لمشروع التكامل، وكذلك فكرة مسرد المصطلحات لتوحيد الخطاب والتعريفات. ورغم التركيز الكبير على موضوع اللغة، يبدو أن هناك غموضاً في اختيار لغة الشبكة، فقد رأينا في الكتاب اعتماد البحث في المصطلحات بشكل أساسي على اللغات الأوروبية. ولعل خطوة تالية في مشروع التكامل تنص على إتقان العاملين فيه للغة العربية، والتُّراثيّ منها إلى حدّ ما. ولعل هذا الإتقان كان وراء توحيد ثقافة الأمة الإسلامية في أوج حضارتها حتى عندما فرقتهم السياسة.

Book Review
University Reform: From the Islamization of Knowledge to Its Integration

Translation: Samira Al-Khawaldeh*

Abstract

This study examines the contemporary challenges facing education in the Western and Islamic worlds. It identifies the epistemological and ethical crisis arising from the separation of science from values, and reason from revelation, within educational curricula. It also examines the influence of globalization and colonial hegemony on the adoption of Western models that are incompatible with local values and policies. The study argues for a shift from the "Islamization of knowledge" to the "integration of knowledge" and proposes the model of an "integrated university" that fosters insight, justice, and spirituality. Furthermore, it calls for the establishment of a transnational digital knowledge network to promote a new discourse that restores the university's civilizational role and balances science, freedom, and responsibility.

Keywords: Islamization of knowledge, epistemological integration, higher education, Ismail al-Faruqi, educational reform.

* Samira Al-Khawaldeh holds a Ph.D. in Islamic Studies from the University of Manchester, UK (1978), a Ph.D. in English Literature from the University of Jordan (2003). She has held academic appointments at several universities in Jordan. Email: s.khawaldeh@gmail.com, https://orcid.org/0000-0001-9199-6330

The manuscript was received on June 6, 2026, and accepted for publication on September 17, 2026.

To cite this article: Al-Khawaldeh, Samira. (2026). "Book Review: *University Reform: From the Islamization of Knowledge to Its Integration*, by Diaa al-Din Sardar and Jeremy Heinzl Thomas." *Journal of Contemporary Islamic Thought* (formerly *Islamic Knowledge*), 32(112), 185–200. https://doi.org/10.35632/citj.v32i112.18786

© 2026 International Institute of Islamic Thought. All rights reserved.